

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ديوان

بائعة الريحان



مكتبة العبيكان

د. عبد الرحمن بن صالح العثماوي

بائعة الريحان

شعر

مكتبة العبيكان

② مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن

بائعة الريحان - ط ٣ - الرياض

٦٩ ص؛ ٢١×١٤ سم

ردمك : ٨ - ١١٣ - ٤٠ - ٩٩٦٠

أ - العنوان

١ - الشعر العربي - السعودية

٢٢/٤٨٢٣

ديوي ٩٥٣١، ٨١١

رقم الإيداع : ٢٢/٤٨٢٣

ردمك : ٨ - ١١٣ - ٤٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناسر

الناسر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



الإهداء

إلى الذين عاشوا

هدوء القرية وسكونها

قبل أن يعيشوا

صخب المدينة وضجيجها

كلمة ..

دائماً — عندما يشيع في نفسي ألمٌ خفيٌّ — أبحث
عن سببٍ له، وكثيراً ما أعجز عن معرفة ذلك السبب.
إلا أنني أحياناً، أربط بين ألم نفسي، وبين حنيني إلى
طفولتي الهادئة العذبة في قرية "عراء" التي يحتضنها جبلٌ
من جبال بني ظبيان.. وذلك الحنين هو السبب — أحياناً —
فيما أحس به من ألم.
أما الأسباب الأخرى فإنها تجيد الاختفاء بين مسارب
النفس .. وفي أعماق القلب.

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بائعة الريحان

مجالس الأمطار

« في منطقة الباحة يعقد الغيم كل يوم مجالس الأمطار »

حدثيني عن رحلة الأقمار

وعن الليل يحتفي بالنها

حدثيني عن الجبال، ذراها

تمنح الغيم نظرة استكبار

حدثيني عن التلال، عليها

طيلسان من أجمل الأزهار

لم تجبني وأغفلت كل حرف

في سؤالي، ولم ترع انتظاري

ورأت عثرتي على درب صمتي

فمضت دون أن تقلع عثاري

بائعة الريحان ===== عبد الرحمن بن صالح العشماوي

وأشارت بكفها، فإذا بي

لا أرى غير واحة واخضرار

هاهنا يا فؤاد مسقط رأسي

أُتراني نسيت أهلي وداري

هذه « الباحة » التي علمتني

كيف أهدي لحنِي إلى قيثاري

كيف أبني على روابي حنيني

قَمَماً من روائع الأشعار

كيف أشدو لأمتي وأناجي

ذكرياتي وأحتسي أخباري

كيف أبكي قدسي وأبني لقومي

أملاً بالجهاد والإصرار

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بائعة الريحان

هذه الباحة التي ألبستني

من ثياب الوفاء خير إزار

أسمعتني صوت الندى وهو يفضي

بخفايا الندى إلى الأشجار

حاصرتني بحسنها، ففؤادي

يتفنى بحسن هذا الحصار

في رباها كحلت بالحسن عيني

وعلى أفقها رسمت مداري

في رباها عرفت معنى يقيني

وولائي للواحد القهار

في رباها قرأت قصة «قُطْر»

وهو يهفو شوقاً إلى «جلنار»

بائعة الريحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

عند زيتونها ترعرع شعري
ونمت همتي وعزَّ اصطباري

علمتني جبالها كيف أبقى
صاعداً في مراتب الأخيارِ

علمتني صخورها كيف أبقى
صامداً رغم قوة التياراتِ

علمتني غيومها كيف أبني
فوق أرض العطاء صرح فخاري

علمتني أشجارها كيف أرمي
في أكف الحساد حلو الثمارِ

في ريا غامدٍ وفي زهرانٍ
يعرف الطلُّ قيمة الأسحارِ

عبد الرحمن بن صالح العشماوي ————— بانعة الرياح

يعرف الغيم كيف يعقد فيها

كلُّ يوم مجالس الأمطار

يعرف الفجر كيف يرسم فيها

لوحة لا تطيق أسرار الإطار

يعرف البدر كيف يسكب فيها

نوره في مجالس السمّار

يا ربوع الزيتون واللوز يعطي

في سخاء، يا واحة الزوّار

مذ رحلنا، ونحن نسعى ولكن

ما بلغنا نهاية « المشوار »

أنا في هذه الروابي مقيم

بفؤادي مهما يشطُّ مزارِي

يا رُبَا الباحة

يا رضا المحبوبِ مَزَّقْ غَضَبَهُ
فلقد يُعْتَقُ هَـذِي الرَقَبَةَ
ولقد يرسمُ في عيني رَوَى
ويريني شمسَهُ المُحْتَجِبَهُ
يا رُبَا الباحةِ. أَجْـفَانُ الهوى
ناعساتٌ تتحاشى الجَلْبَةَ
ويدي يخضرُ فيها قلـمي
وحروفي لم تزل مُفْتَرِيَةً
تعبَ المشتاقُ من أشواقِهِ
فمَتَى يمحو التلاقي تَعَبَهُ

* الباحة من المناطق السياحية ارائعة في جنوب المملكة العربية السعودية -
وما بين القوسين في القصيدة أسماء أماكن وجبال هي منطقة الباحة.

عبد الرحمن بن صالح العثماوي _____ بانعة الريحان

يا رُبَّا البَاحَةِ، قلبي خافقُ
خفقاناً لستُ أدري سَبَبَهُ

أسألُ الوديانَ عن تاريخِها
وجبالاً فوقها مُتَّصِبَهُ

فَيريني الحسنُ فيها نفسَهُ
ويريني الشعرُ فيها طَرِيَهُ

المُحُ « الطَّفَّةُ » يسقيها الهوى
فتتاجي بهواها « شَهَبَهُ »

وأرى « حُرْنَةً » يُلقى نَظْرَهُ
والروابي حوله مُنْتَقِبَهُ

و« شَدَا » ينصبُّ من قامته
مَعْلَماً ترنو إليه العَقَبَهُ

بائعة الريحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

وأرى «دَوْسًا» على جبهتها
كَتَبَ التاريخُ ما قد كتبه

يا رُبَّ الباحَةِ ما زال الصُّبا
فيك غَضًّا فأجيبني طلبه

وأعِدي للفتى أيامه
في «حمى ظبيان» أو في الشُّطْبَة

يوم كانت قـرِيتي هادئة
يعرف الحسن لديها نَسَبَه

ليُلْها القمرُ، ما أجْمَلَه
ناثرًا في كل صوبٍ شُهْبَه

يا رُبَّ الباحَةِ ما زال لنا
فيك شوقٌ، ما بَلَّغْنَا أَرْبَه

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بائعة الريحان

فَرَّقَ التَّرحالُ فيما بيننا
فَاللِّقاءُ بِهِ مُقْتَضِبَةٌ

مُذْ رَحَلْنَا، وَالْمَنَى ضاحكة
ومغاني شوقنا مُنْتَحِبَةٌ

غَيْرَ أَنَّ الحَبَّ ما زالَ لنا
نَسْتَقِي مِنْهُ وَنَرْقَى رُتَبَهُ

قَدْ وَهَبْنَاكَ وِفاءً صادِقاً
هل يعودُ الحُرُّ فيما وَهَبَهُ؟

يا رُبَّا الباحَةِ كم من شاعرٍ
شَفَقَ الشَّعْرُ بِهِ مِنْقَلِبَهُ

يا رُبَّا الباحَةِ كم من فارسٍ
لا يساوي سَرَجَ مَتْنِ رَكَبَهُ

بائعة الرياحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

كم نفوس غرقت في لهوها
فَفَدَتْ في دَرَبِها مُضْطَرِيةً

يصبحُ المرءُ ذليلاً حينما
يهجرُ الدين وينسى أدبه

حَسَبُ المؤمن دين وتقى
فَلْيُراجِعْ كُلُّ باغٍ حَسَبَه



عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بانعة الرياحان

الباحة اليوم لحن^(١)

صوتي لصوتك يا قلبي الحنون صدى

فاهتفأ بلحن الرضى واجعل أساك فدى

أنخ هنا ركبك الساري، فأنت على

أرض ستنبت أزهار الهناء غدا

أسمع رباً غامداً لحناً، تردده

زهران، فالدرب صار اليوم متحدا

إنني حفرت روابي الشعر، أزرعها

حباً، وصدقاً ولإنسان ما قصدا

يا فهد.. ها أنت والأزهار راقصة

من حولنا تزدهي حباً لمن وفدا

(١) أُلقيت في الحفل الذي أُقيم في مقر الإمارة بالباحة حينما رارها الملك فهد عندما كان ولياً للعهد.

بائعة الرياحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

الباحّة - اليوم - لحن سوف أنشدّه

شعراً، وتُنشده هذي الربّأ أبداً

أرضيتها بقاء، سوف يحفظه

تاريخها زمناً، لا يعرف العددا

سمعت أزهارها تحكي، وقد حلفتُ

بالله صدقاً، إذا أحسنتم المددا

لتصبحنّ مثال الحسن في بلد

لكم محاسنه.. أنعم به بلدا

وعدتُ قلبي بحلم كنتُ أرقبه

إنّ الفتى من يفي دوماً بما وعدا

وهو أنا اليوم، ألقى الشعرَ تسمعني

ربوعها، وأرى في ربعها فهدا

عبد الرحمن بن صالح العثماوي _____ بائعة الرياحان

شعراً يعيش على أنغامه أملي
ويقتل اللحن فيه الحزن والكمد

يشدو به «حُزْنَةٌ» العالي، وينقله
لحناً شجياً إلى كل الربوع «شدا»^(١)

أفنت فيها شباب الحرف أنظمه
وصفاً لها، كلما قرَّبتُه ابتعدا

يا بلبل النغم العذب الذي غرست
ألحانه عبّر هاتيك الربوع صدا

إن كنت تشدو على أغصانها فعلى
غصون قلبي عصفورُ الهناء شدا

يا شعرُ غرّد على أيكِ الشاعر في
صدق فقد يؤنّسُ التفريدُ مَنْ وجدا

(١) (حرية) و (شدا) حبلان معروفان بالمنطقة.

بائعة الريحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

هذا اللقاء الذي نحياه، ينقلني
إلى زمان، أضاء المشرقين هدى

رأيتُ فيه رسولَ الله، يملؤه
عدلاً، وكان لمن يحتاجه سنداً

وقد رأيتُ به الصديقَ ممثلاً
كما رأيتُ به الفاروقَ متقدماً

ولم تزل تسمع الأيام صرختهُ
ويشربُ الدهر منها عزة وفدى

قد قالها عمر الفاروقُ في ثقة
بالله، يمهَرُها الأموال والولدا

فلو تعيَّنر في صنعاء راحلة
براكب، كنتُ مسؤولاً ومُنْتَقِداً

عبد الرحمن بن صالح العثماوي _____ بانعة الريحان

مَنْ حَقَّقَ النِّصْرَ فِي بَدْرٍ وَمَنْ جَعَلَ الدَّ

أَحْزَابَ، بِالرَّغْمِ مِنْ إِحْكَامِهَا، بَدَدَا؟

وَمَنْ طَوَى الْأَرْضَ لِلْإِسْلَامِ طَائِعَةً

إِلَّا الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا

إِنَّا نَكُونُ بِالْإِسْلَامِ رَابِطَةً

مَهْمَا اخْتَلَفْنَا فَقَدْ صَرْنَا بِهَا جَسَدًا

لَوْ اشْتَكَى كَدْرًا مَاءُ الْخَلِيجِ شَكَا

مِنْهُ الْفِرَاتُ، وَلَمْ يَنْسِ الْأَسَى بَرْدَى

لَيْسَ التَّزَمْتُ طَبْعاً فِي عَقِيدَتِنَا

وَلَا التَّحَلُّلُ.. إِنَّا نَبْتَغِي رَشْدًا

وَلَيْسَ مَنْ يَمْتَطِي لِلْمَجْدِ هِمَّتُهُ

كَمَنْ قَضَى عَمْرَهُ لِهَوَا فِضَاعِ سُدَى

بائعة الرياحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

لا يُعْرِفُ الحَرَّ إِلَّا مَنْ تَعَامَلَهُ
ولا الشَّجَاعُ الفَتَى إِلَّا إِذَا صَمَدًا

قد يَفْرُقُ المرءُ في لذَّاته، ويرى
دنياه نشوى ويأتي عَيْشُهُ رَغَدًا

حتى إذا ما تَمَادَى في غَوَايَتِهِ
تَبَدَّلَتْ حاله بعد الرُّضَا نَكْدًا

مهما غفا الناسُ إِعْرَاضًا فلن يجدوا
من دون ربهم الرَّحْمَنَ مُلتَحِدًا

في كل ذرَّة رمل من جَزِيرَتِنَا
معنى من العزَّ، بالبشرى يسيل نَدَى

تَمَّتْ لَنَا نَعَمِ الرَّحْمَنِ فِي بِلَدٍ
كالمنهل العذب، كم مِنْ ظَامئٍ وَرَدَا

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بانعة الريحان

إليه تهضو قلوبُ المسلمين على
بُعْدِ المسافات، والإسلام منه بدأ

دستورنا الحق، لا نرضى به بدلاً
به نسير إلى أهدافنا صُعُداً

فبالهدى نجعل الأيام ناعمةً
تزهو.. وإنْ أحكمتْ أعداؤنا العُقدا

نمضي بإيماننا، واللهُ يكلؤنا
ما خابَ مَنْ مَدَّ لهُ الكريمُ يداً



بائعة الرياح

بائعة الريحان

في قرية رابضة

في قمة الجبل

تعيش في أمان

تواجه الحياة

بابتسامة الأمل

وعندما ..

تبيضر ظلمة المساء

بيضة السحر

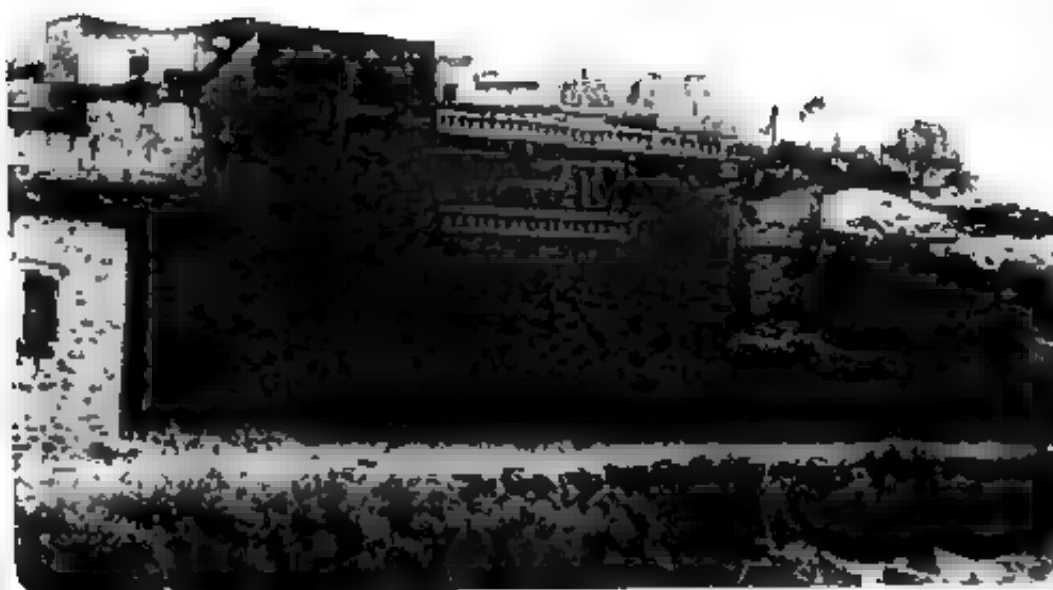
وقبل أن يفتّر

مبسم الأفق

عن بسمة الصباح

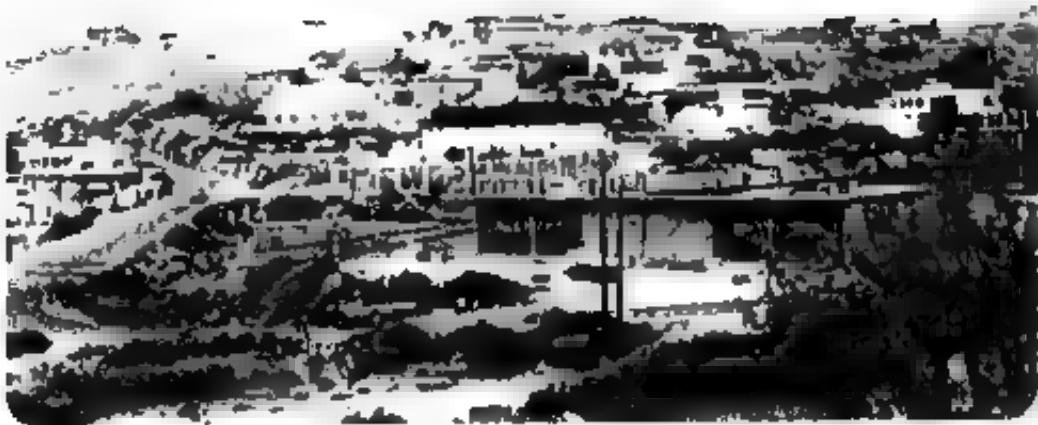
تكون ..

قد أناخت الركاب



❖ صورة لجزء من القرية الرابضة على قمة الجبل ❖

في « الغشامرة »
وقرية « الغشامرة »
مقر سوق السبت
كل « دور »
تبيع فيه ..
الشيح والريحان
وربما ..
تبيع « قرن مؤز »
وربما قرنين
وقبل أن يودع النهار
وعند نزعهِ الأخير
تكون في منزلها
تدقق الحساب
بائعة الرياحان
من ياترى



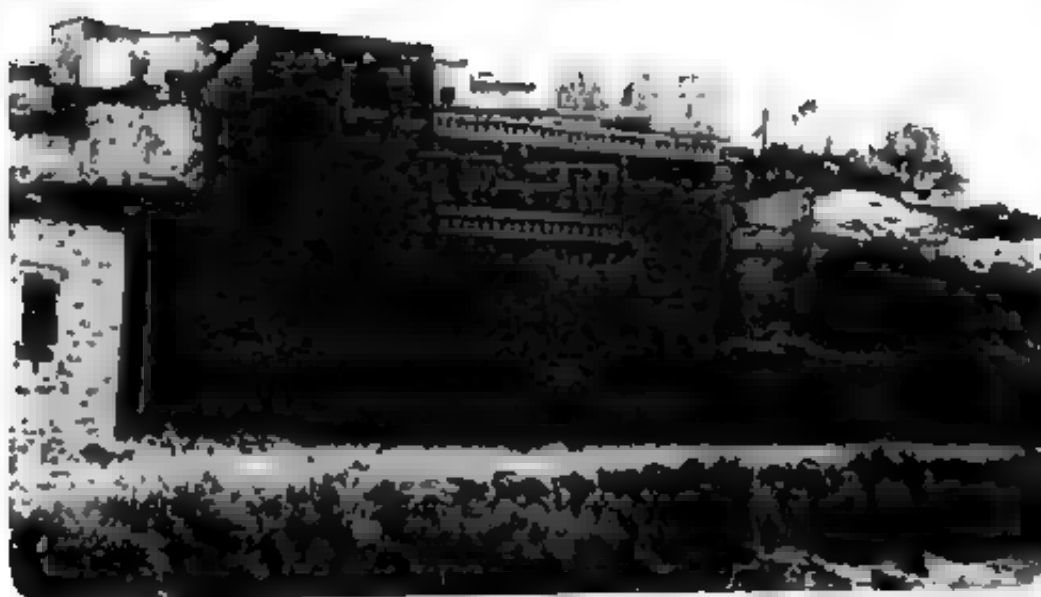
❖ صورة لقرية « الغشامرة » مقر سوق السبت قديماً

ويلاحظ زحف المباني الحديثة على القرية ❖

عبد الرحمن بن صالح العشماوي ————— بائعة الریحان

بائعة الریحان؟
امرأة تخمشها
مخالبُ التسعين
امرأة عجوز
في وجهها المجعدُ الجبين
إشارة
إلى تعاقبِ السنين
بائعة الریحان
في وجهها ..
تلبدتُ متاعبُ الزمن
وفي انحناءِ ظهرها
حكايةٌ طويلة
من الوهن
بائعة الریحان
حكايةٌ قديمة

بائعة الريحان ===== عبد الرحمن بن صالح العشماوي



❖ سورة تبين مداخل المنازل قديماً ❖

عبد الرحمن بن صالح العشماوي ————— بائعة الرياحان

جديدة

أغنية ريفية

فريدة

بائعة الرياحان

راوية

لا تعرف المرأ

لا تعرف التزلف المشين

والرأ

تقول ما تشاء

وربما..

يلجمها الحياء

فتلزم السكوت

وتنتهي

حكاية الرياحان

أو تموت

بائعة الريحانِ

قَذَفْتُ ..

في مسمعها السُّؤالُ

ترنَّحَ السُّؤالُ

واستطالَ

وصالَ حَوْلَ سمعها

وجالَ

بائعة الريحانِ

في عينها شرودٌ

في سمعها ثَقَلْ

وربَّما راودَهَا الخجلُ

فأَسَدَلْتُ ..

مِنْ صممتها حجاباً

لكنني - برغم صممتها -

قَذَفْتُ بالسُّؤالِ

عبد الرحمن بن صالح العشماوي ————— بانعة الرياحان

يَتَّبَعُ السَّوَالُ

فَالْتَفَتْتُ إِلَيَّ فِي ذَهُولٍ

وَهَمَسْتُ تَقُولُ:

تَرِيدُ نَ أَحْكِي لَكَ الْحِكَايَةَ

فَقُلْتُ - فِي تَلَهُّفٍ شَدِيدٍ

نَعَمْ ...

وَكَيْفَ لَا أُرِيدُ؟!

بَانِعَةُ الرِّيحَانِ

رَمَتُ إِلَيَّ نَظْرَةً طَوِيلَةً

وَأَرْدَفْتُ بِأَهَةٍ ثَقِيلَةٍ

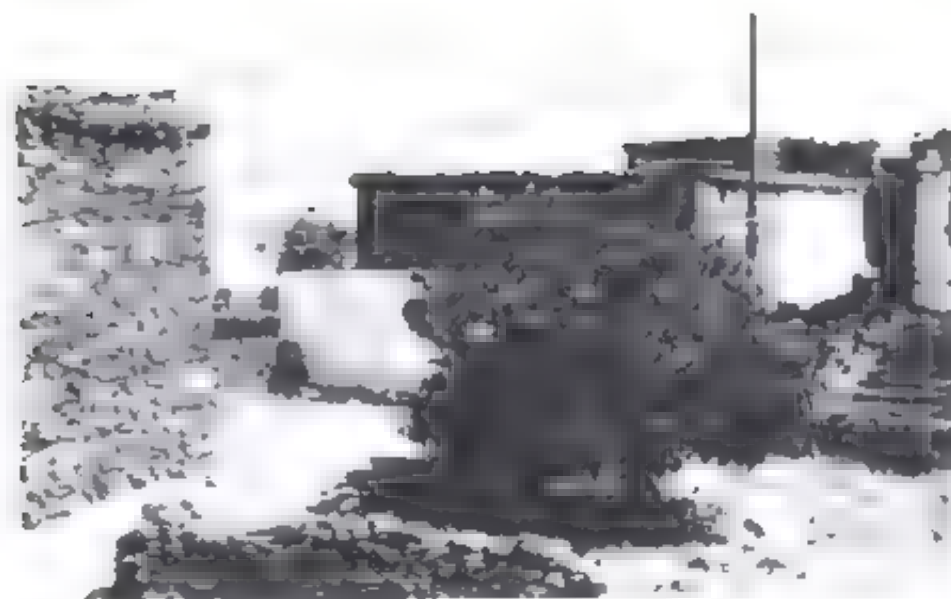
وَانْطَلَقْتُ تَقُولُ:

حِكَايَتِي حِكَايَةٌ

أَمَّا تَرَى بِأَنْتِي

أَصَارُ الْهَرَمَ؟!

كَأَنْتِي ..



❖ جزء من القرية ❖

تساؤلٌ من عصرنا القديم

عن كلِّ ما أراه..

من جديدٍ

أو أنني علامةٌ

تُخبرُكم بها مضي

من عيشنا الزهيدِ

حكايتي حكايةً..

قد عشتُ - يا بُنيَّ -

عالمين

وُلدتُ مرّتين

وربّما..

أموت مرّتين

ما بين أمسي - أيُّها الفتى -

وبين حاضري

مسافةٌ بعيدةٌ بعيدة

بدأتُها وحيدة

وربما

أنهيتها وحيدة

بالأمس..

كانت الحياة هادئة

وكانت النفوس

هائئة

واليوم - يا بُنيَّ - مثلما ترى

تقارب الزمن

فالنوم في وطن

وقهوة الصباح

في وطن

تقارب الزمن

لكنني..

أحسُّ بالتباعد المخيف

في أنفُسِ البشرِ
ما عاد في القلوبِ
نبضُها القديمُ
وحبُّها العظيمُ
تقاربَ الزَّمنِ
والناسِ يا بُنيَّ يلهثونُ
وربَّما أتاهاهم اليقينُ
وهم على الطريقِ
يلهثونُ
حكايتي حكايةً
في قرיתי...
بدأتُ رحلةَ الطفولةِ
في قرיתי..
لعبتُ بالترابِ والحصى
رعبتُ..

في طفولتي الغنم
وفي الصبا..
رعت بيتي الصغير
وأبي بيت - أيها الفتى - ١٩
ما عرفت جدرانها الدهان
وأرضه..
لم تعرف المفاresh الوثيرة
ما كان في منزلنا «كَنَب»
ولم يكن في غرفتي سرير
وأين غرفتي ١٩
كشوكه..
في حلق بيتنا الصغير
ولم تكن
إذا أتى الشتاء
تحرمتنا من لذة المطر



❖ صورة لبيت القاسم من بعيد ❖

لكنَّ بيَّتنا

بالرغم من مظهره الحقيق

لم يعرف الشقاء

وربَّما..

لأنه لم يعرف الثراء

حكايتي حكاية

من بيتي الصغير

كنت أملك الوجود

أحسُّ أن طفلي «شريفه»

تقرَّب البعيد

ولا تسلَّ عن رجل قصير

يفاجئ الذي يراه

بمظهر حقير

يداهُ ما صافحتا

نعومة الحياة



- ❖ صورة لبيت كبير من بيوت القرية وقد زُيّنت شرفاته بأحجار المرو الأبيض وهو منزل «القاسم»
- ❖ في قرية عراء وكان يسمى في وقته «قصرأ»

لكنّه يطلّ

في وجهه ابتسامةُ الأملّ

منحته عنايتي

وحبّي الكبير

أغضّ طرفي إن قسا

أو ثار في غضبّ

وربّما يضربني

لا أعرف السبب

فألزمُ السكوتَ

وإنّما السكوتُ من ذهبٍ

ما كان في قرينتا

«تلفاز»

ولم تكنْ تهمُّنا الإذاعةُ

وسكتتْ بائعةُ الرياحانِ

ولم يطلّ سكوتُها

بل أردفتْ تقولُ:

دعني أقصُّ هذه الحكاية
العجيبة:

في سفرٍ إلى ابنتي
وأَيَّما سفرًا؟

في ذلك الزمانِ
لم تُعبدِ الطُّرُقُ
وصلتُ

- بعد رحلةٍ طويلة -
إلى ابنتي شريفه
دخلتُ بيتها

رأيتُ في مجلسها العَجَبُ
أرجلٌ في بيتها غريبٌ؟
هل فُقدَ الحياءُ
وانتهى الأدبُ؟
رددتُ فوقَ وجهي
الحجابُ

وَعَدْتُ نَحْوَهَا
وَصَحْتُ فِي غَضَبٍ:
أَغَيَّرْتُ طِبَاعَكَ الْمَدِينَةَ
وَكَيْفَ..
تَدْخِلْتَنِي عَلَى الرَّجُلِ؟
وَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ؟
وَهَالَنِي أَنِّي رَأَيْتُ زَوْجَهَا
يَغَالِبُ الضَّحْكَ
وَكَدْتُ أَنْ أَثُورَا
لَكِنَّهَا تَلَطَّفَتْ وَقَالَتْ:
هَذَا هُوَ «التَّلْفَازُ»
تَنَهَّدَتْ بَائِعَةُ الرِّيحَانِ
وَذَهَبَتْ تَقُولُ:
مَا كَانَ فِي قَرِيئَتَا تَلْفَازُ
وَلَمْ نَكُنْ..
نَشَاهِدُ الْفَتَاةَ - يَابْنِي -

تكاد تَأْكُلُ الفتى
ما كَانَ فِي النِّسَاءِ
هَذِهِ الْوَقَاحَةُ
يَا ضَيْعَةَ الْحَيَاءِ!
أَحْسُ يَا بَنِيَّ
أَنْ سَوَسَةَ الرَّذِيلَةَ
سَتَأْكُلُ الْفَضِيلَةَ
وَأَنْتُمْ..
فِي كَأْسِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ
سَتَشْرَبُونَ حَسْرَةً
شَدِيدَةَ الْمَرَارَةِ
وَأَنْتُمْ..
- كَمَا هَتَفْتُ - سَوْفَ تَهْتَفُونَ:
يَا ضَيْعَةَ الْحَيَاءِ!
وَعَاوَدْتُ بَائِعَةَ الرِّيحَانِ
حَدِيثَهَا الطَّوِيلَ

وللمت ثيائها
وانطلقت تقول:
في بيتي الصغير
صرت أعرف «الصدر»
أست تعرف «الصدر»؟
مزارعٌ لزوجي الحبيب
في تهامة
كم صافحت أرجلنا
طريقها الطويل
في اليوم مرتين
ونحن نصعد الجبال
وأيما جبال؟
تناطح السحاب في شموخ
لا تعرف الرضوخ
في بيتي الصغير
ذقت لذة الحياة

وذقتُ لذة الكفاح

والتعبُ

ومرَّتِ السنُونُ

ولا تسَلِّني..

كيف مرَّتِ السنُونُ؟

وأقبل الخريفُ

ولا تسَلِّني..

كيف أقبل الخريفُ؟

عشيَّةُ الخميسِ

وكانت الشمسُ

تعانق المغيبَ

وكنْتُ ..

في انتظار زوجي الحبيبِ

وزحفتْ مواكبُ الظلام نحونا

ولم يَعدْ

وابتلع السكونُ قريتي



❖ صورة للبئر التي تجلب النساء منها الماء ❖

ولم يعدَّ
وطالَ بي السَّهرُ
واستأسدَ القلقُ
وعرِبتُ مخاوفي
وشمَّرَ الأرقُ
وزوجي الحبيبُ
لم يعدَّ
واشتعلتُ مواقدَ الظنونِ
والناسُ نائمونَ
وزوجي الحبيبُ ... لم يعدَّ
عشيَّةَ الخميسِ
غامتِ السماءُ
فرعدها يُخيفُ
وبرقُها ..
يكاد يخطفُ البصرَ
وزحفَ المساءِ واستبدَّ

بالتَّلالِ

وعندهما خرجتُ..

والضياءُ والظلامُ في عِرَاكِ

وقريتي نائمةً

فما بها حِرَاكِ

وربَّما سمعتُ..

لو أصحَّتْ سمعك الرَّهيفُ

ما يُشْبِهُ الحَفيفُ

تُحدِّثُه..

«شراشفُ» النساءِ

وربَّما..

سمعتَ تمتَمُه

وجُملاً منغمَّة

وربَّما سمعتَ

- لو أصحَّتْ ثانيَّة -

طقطقةَ الحطبِ

عبد الرحمن بن صالح العشماوي ————— بانعة الرياحان

كأنه..

يشكو إليك قسوة اللهب

وربما رأيت..

- لو أنعمت ناظريك -

نساء قرיתי

يسبقن ضوء الفجر

عند منبع المياه

وبالهن من نساء

على ظهورهن..

ترقص القرب

وما لهن في المجور

من أرب

خرجت..

والسماء في وجوم

والريح..

تزمع الهجوم



❖ صورة للقربة ❖

وجسدي ..

تهزُّ ارتعاشةً غريبةً

وخطرتْ خاطرةٌ رهيبه

ووقفَ الطريقُ بيُّ

أو أنتي وقفتُ بهُ

وجاءني الخبرُ

فزوجي الحبيبُ

ماتُ

ونالَ من تَماسُكي الدُّوَارَ

وأسدِلَ السُّتَارَ

وبعدَها

بدأتُ رحلةَ العناءِ

وصرتُ - يا بنيَّ مثلَما ترى

بائعةَ الرِّيحانِ

بائعةَ الرِّيحانِ



فريتى..

الهدوء يلفُ المكانَ من حولنا والقرية تتشَبَّثُ بالجبل
الشامخ ، تتعلَّق بجسده الكبير..

بيوتها القديمة تبدو للناظر ساكنةً لا حراكَ بها، وقد
أخذ بعضها بنواصي بعض حتى لِيُخَيِّلُ للناظر إليها أنها
قد زادت التصاقاً وامتزاجاً عن ذي قبل، وكأنها تأنسُ إلى
بعضها هرباً من وَحْشَةِ المدينة الحديثة.

وإذا أنعمتَ النظرَ في بيوت القرية العتيقة رأيتَ من
أمرها عجباً. بعضها قائم على قديمه صامداً لم يتزعزع،
وبعضها تقوَّستْ جدرانُه كما يتقوَّس ظهر العجوز الذي بلغ
من الكبر عتياً..

أزقة القرية توحى للناظر إليها بشيءٍ غريب.. وكأنها
سراديبٌ تؤدِّي إلى الموت، سبحان الله !! كأنها لم تكن ذاتَ
يومٍ مأنوسةً مليئةً بالفادين والرائحين.

أما مزارع القرية فإنها تنظر إلى الناس الذين
يدوسونها بعرباتهم نَظْرَةَ البائس الحزين.

وقفتُ أمام بيتٍ شامخٍ من بيوت لقرية القديمة ..
وسرَّحتُ طرفي في جنباته .. ودنوتُ منه .. وقد خُيِّلَ إليَّ
أنه يتحدثُ إليَّ.

كنت أشعر أنه ينظر إلى المباني الحديثة من حوله
نَظْرَةَ سخريّة واستهزاء، ولو كان له لسانٌ لقال: انظرُ كيف
يتنكَّر الإنسان!!

وقمتُ أمام ذلك البيت .. أحجاره المرصوفة بإتقانٍ
عجيب، بابه الخشبيُّ الضخم « المصراع » نوافذه الصغيرة ..
بَهْوُهُ المستطيل « الجون » باحته الواسعة .. درجته المتميِّزة
المرصوفة من الحجارة رصفاً رائعاً .. كلُّ ذلك كان بمثابة
سجل حافلٍ أقرأ فيه حياة قوم تركوا الدنيا، وكأنَّهم لم
يعيشوا فيها لحظةً واحدة.

عهدي بهذا البيت الكبير « المهجور » مليئاً بالرجال
الشجعان والنساء والأطفال .. باحته كانت مليئةً بالأغنام
والبقر والجمال ..



❖ صورة للمنزل الذي شهد النشأة والطفولة ❖

بائعة الريحان _____ عبد الرحمن بن صالح العشماوي

درجُه الطويل لم يكن يفرع من صاعدٍ أو هابطٍ..
نوافذه الصغيرة لم تكن تخلو من مُطلٍّ يرصد الأزقة من
خلال شقوقها.. البهوُ المستطيل «الجَوْن» لم يكن يخلو من
الجالسين تُدار بينهم القهوة والشاي، ويذهبون في الحديث
مذاهب شتى..

بابه الخشبيُّ الضخم « المصراع الكبير » لم يكن يخلو
من داخل أو خارج.

وكم كنتُ أسعد برؤية « الجمل » وهو يدخل بحمله من
خلال ذلك الباب وينوِّخ في باحة الدار.. ونتسابق نحن
الأطفال لنعثر على حبةٍ من فاكهةٍ أو تمر.

ليس الوقت الذي أتذكُّره ببعيد.. بيننا وبينه الآن ما
يقرب من عشرين عاماً كنتُ حينها في لسابعة أو الثامنة
من العمر، أو لعلِّي كنتُ بينهما وإلى الثامنة أقرب.

كنت أنظر إلى ذلك البيت الكبير، والذكريات تنثال
عليَّ من يمينٍ وشمال ومن كلِّ ناحية، حتى خلَّتْ أني

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بائعة الرياح

أغوص منها في بحرٍ عميق، أو أنني أدخل منها في مثل
الضباب..

لست أنسى أهل القرية عندما كانوا يجتمعون إذا عنَّ
لهم أمر . ومتى كانوا يجتمعون؟!
بعد صلاة المغرب... ولماذا؟

لأنهم كانوا يسرحون إلى أوديتهم مع بزوغ فجر كل يوم
جديد.. فمَنهم من يذهب إلى مزرعته.. ومَنهم من يرعى
غنمه ومَنهم مَن يهبط إلى الأسواق البعيدة يبيع بعض ما
لديه من حب أو فاكهة أو خضار.

حركة دائبة.. لا يُوقِفُها إلا دنو الليل ولون الأصيل.
عندها.. ترى طرقات القرية تسيل بالرائحين، وتمتزج
أصوات الناس بثغاء الشاء ورغاء الجمال وزقزقة العصافير
رائحة إلى أوكارها.

كان التعاون شعار أهل القرية فيما يقومون به من
أعمال.. الحرث.. الحصاد.. بناء المزارع والبيوت.. وإنَّ

بائعة الريحان عبد الرحمن بن صالح العشماوي

من أقرب ما يشدُّني إلى ذكره الآن « الطَّيْنَة » وما هي
« الطَّيْنَة »؟

إنها تعني تسقيف البيت بالخشب ورصف الطين عليه
.. وأيُّ خشبٍ يا ترى؟ .. إنه خشب العرعر والطلح، واللُّوز،
والزيتون البريِّ وكم كنا نسعد نحن الأطفال بيوم « الطينة »
هذا .. ذلك، لأننا كنا نشارك فيه الكبار في العمل .. وليس
أحسن عند الطفل من اللعب بالطين ..

سبحان الله !! ربما كان السبب في ذلك شموراً داخلياً
عند الإنسان بأصله، وميلاً فطرياً منه إلى ذلك الأصل.
كانت الأيدي العاملة في القرية محلّية .. الذين يبنون
هم رجال القرية .. والذين يصنعون الأبواب والنوافذ
وخشب السقوف و « المرازح » الأعمدة .. هم أهل القرية .

أما طلاء الأبواب بالقطران المستخلص من شجرٍ
محليّ، وأما طلاء الجدران من الداخل بالطين والتبن. وأما
تلوين الجزء الأسفل من الجدران بالبرسيم الذي يُدقُّ

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بائعة الريحان

وَيُعْجَنُ وَيُصْنَعُ مِنْهُ مِثْلُ الدَّهَانِ الْأَخْضَرِ، أَمَّا هَذِهِ الْأَعْمَالُ
فَإِنَّ النِّسَاءَ هُنَّ اللَّاتِي كُنَّ يَقُمْنَ بِهَا .

نساء القرية لم يكنَّ عاطلاتٍ أبداً . عمل المنزل ..
الحياكة .. حَلَبُ الأبقار .. العمل في المزارع .. جَلَبُ الماء من
الآبار على ظهورهنَّ، كُلُّ ذَلِكَ كُنَّ يَقُمْنَ بِهِ خَيْرَ قِيَامٍ .
كانت القرية مهرجاناً حافلاً بالعاملين والعاملات .. كُلُّ
في مجاله المعهود .

وفي خضمِّ هذه الذكريات عاودتُ النظر إلى ذلك
البيت الكبير فأحسستُ وكأنَّه يتحركُ نحوي أو أنَّ الأرض
تزحف بي نحوه .

وشعرت كأنَّ لساناً قد امتدَّ له ..
فأخذ يحدثني عن إحساسه بما هو فيه .. عن وحشته
بعد الأنس .. وعن هوانه بعد العزِّ وعن هجر الأحبَّة له بعد
الوصال .

بائعة الريحان _____ عبد الرحمن بن صالح العثماوي

لقد تمادى بي هذا الشعور حتى غدا في نفسي حقيقةً
وما هو بحقيقة.. وواقعاً وما هو بواقع، وحتى أصختُ
سمعي إلى ذلك البيت القديم أستزيده من الحديث..
ولو استطعتُ أن أجعل من الصمت زجاجةً مغلقة
لوضعتُ كلَّ ضجّةٍ تُحدثُها الوسائل الحديثة من حولي في
تلك الزجاجة وأقفلتُ عليها حتى يتسنى لي أن أستمع إلى
حديث الجماد في تلك اللحظة الرائعة..

أيتحدث الجماد؟ ربما .. إن حديثه لشجي حزين ..
يُشبه حمّمةَ الفرس الذي فقد فارسه، وحنينَ الناقة التي
فقدتُ فصيلها، ولعلَّ حديث الجماد أشجى وأكثر إفصاحاً.
إنه يتحدث بصمت وهل هنالك أفضل من حديث
الصمت؟

يُوت قريتنا القديمة تُجيد هذا النوع من الحديث
الصامت أو الصمت المتحدث.. تُجيد هذا النوع من الحزن
المعبر، أو التعبير المحزن.

عبد الرحمن بن صالح العشماوي _____ بائعة الريحان

أرأيت إلى الكتاب الرائع عندما تنغمس بين سطوره
فتشعر بزمرمة الحروف، وهممة الكلمات، وتظلُّ تُوغِلُ في
ذلك الشعور حتَّى يُخَيِّلَ إليك أنَّ هذا الكتاب يحدثك بلسان
عربي مبين.

إن كنت ممن يذوب في الكتاب هذا الذوبان.. فقفْ
على بيوت عتيقة في قرية من القرى واستمع إلى حديثها
فستجد أنَّ لكلِّ حجرٍ فيها لساناً ينطق.

عضواً - أيُّها القارئ الكريم - فقد رحلت بك بعيداً
بعيداً، وحملتُك إلى عالمٍ ربما أنك لا تجد فيه ما وجدتُ
أنا من المتعة واللذة.

بأيِّ شيءٍ أعتذر إليك؟ لا أدري ولكن.. لعلَّك لو جلستَ
إلى نفسك تفرق من ماضيها في مثل ما غرقت فيه..
لوجدتَ من ذلك الماضي ما يجعلك لي عاذراً.. وعليَّ
مشفقاً رحيماً.



الفهرس

٥	الإهداء
٧	كلمة
٩	مجالس الأمطار
١٤	يا ربُّيا الباحة
١٩	الباحة اليوم لحن
٢٧	بائعة الريحان
٥٩	فريتي
٦٩	الفهرس